This article has been scanned by iThenticate No plagiarism detected

Volume 3, Issue 5, October 2021
p. 347-357

ABU NAWAS AL-HASSAN BIN HANI, BETWEEN AL-AKKAD AND AL-NUWEHI, AN APPROACH TO THE REPRESENTATION OF THE PSYCHOLOGICAL METHOD

<http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.5-3.30>

Nassima BERRAG¹ & Rima BERAGRAG²

Abstract:

Modern Arab theory is based on the evocation of contextual occidental approaches that are out of text.

Here, signs of critical modernity began in the reading of traditional Arabic texts, and one of the most important texts around which the readings revolved was the text of Abu Nawas, symbol of textual modernity for Arabs, as demonstrated by Adonis.

This research paper seeks to find the balance between the two Arab readings that invoked the psychological approach to enlighten the text of Abu Nawas, the reading of Abbas Mahmoud Al-Akkad marked "Abu Nawas Al-Hassan Bin Hani", which is famous for studying biography and genius in which the personality key was followed as a tool from which it can penetrate into its depth and thought, and the study of Muhammad Al-Nohi's "The Psychology of Abu Nawas", which is a unique modern critic in his critical view, began to define literature as «the supreme fruit of the experiences of human life», his study preceded Akkad's study by nine months, and both were in the same year 1953, This justifies the legitimacy of the balance between them on the one hand, and calls for an examination of the effects of comparison within the Arab critical theory, which has been influenced by Western theories, and which are given by the Freudian incubator. The comparison that the intervention intends to make is descriptive speech (meta critical).

As for the problem posed by the research paper, consists in: What are the paradoxes that a single psychological approach poses to the multiplicity of readers and to the unity of the method?

Al-Akkad relied on the dictum of narcissism to decompose Abu Nawas's personality, and psychologists took this word (narcissism) to denote the

Received :
14/08/2021

Accepted:
01/09/2021

Published:
01/10/2021

¹ Dr. , Mohamed lamine debbaghine. Sétif 2 University , Algeria, Bnassima2009@yahoo.fr, <https://orcid.org/0000-0002-1883-4009>

² Dr. , Mohamed lamine debbaghine. Sétif 2 University , Algeria, salem.aziza@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0003-4485-588X>

associated bodily discomfort and sexual lust, and to signify a person's infatuation with his body and desire for sexual lust, he feels like an image of himself, which completes his composition and all the imperfections he feels, according to Shawqi Deif.

Based on the complex of narcissism, Al-Akkad explained the manifestations of the complex in what was called Autoimmune and self-envy, while Al-Noaihi went to the complex of Oedipus and inferred it with textual evidence under the name: the sexual replacement of a mother with wine and the sublimation expressed in the poetic work.

We note here that the Arab critical theory stopped with these two writers, and that it did not use the developments of the psychological structural approach as presented by Jacques Lacan, his works not yet being translated into Arabic .

Key words: Abu Nawas, Al-Akkad, Al-Noaihi, Psychological Method, Critical Theory.

أبو نواس الحسن بن هاني بين العقاد والنويهي، مقاربة في تمثّل المنهج النفسي

نسّيمة براق³
ريمة برقراق⁴

الملخص

قامت النظرية العربية الحديثة على استحضار المناهج الغربية السياقية الخارج نصيّة، وهنا بدأت بوادر الحداثة النقدية في قراءة النصوص العربية التراثية، ومن أهم النصوص التي دارت حولها القراءات نصّ أبي نواس؛ رمز الحداثة النصّية عند العرب كما بينها أدونيس. تسعى هذه الورقة البحثية للوقوف على الموازنة بين القراءتين العربيتين اللتين توسّلتا بالمنهج النفسي لإضاءة النصّ النواسي؛ قراءة عباس محمود العقاد الموسومة بـ «أبو نواس الحسن بن هاني»، الذي اشتهر بدراسة السيرة والعقوبات التي رصد فيها مفتاح الشخصية كأداة ينفذ منها إلى عمقها وفكرها، ودراسة محمد النويهي «نفسية أبي نواس»، وهو ناقدٌ مُحدثٌ تفرّد في نظريته النقدية، وراح يُعرّف الأدب على أنه «الثمرة العليا لتجارب الحياة الإنسانية»، وكانت دراسته سابقة لدراسة العقاد بتسعة أشهر، وكليهما في العام نفسه 1953، هذا ما يُبرر شرعية الموازنة بينهما من جهة، ويدعو لبحث آثار المقارنة داخل النظرية النقدية العربية التي تأثرت بالأطروحات الغربية، والتي تمتح من المحضن الفرويدي. فالمقاربة التي تعمد إليها المداخلة هي إيواليات الخطاب الواسف critique

Méta

أمّا الإشكالية التي تطرحها الورقة البحثية هي: ما المفارقات التي يطرحها المنهج النفسي الواحد أمام تعدد القراء ووحدة المنهج ؟

استند العقاد على مقولة النرجسية لتفكيك شخصية النواسي وقد اتخذ النفسيون ((narcissisme)) هذه الكلمة (النرجسية) للدلالة على الفتنة بالجسد وما يُقترنُ بها من شهوة الجنس ويقصدون فتنة الشخص بجسده واشتهاءه شهوة جنسية يتحول معها إلى معشوق له يُحس أنه صورة منه تُكمل تكوينه وكُل ما يَشعرُ به من نُقصٍ على حد قول شوقي ضيف، وانطلاقاً من عقدة النرجسية أوضح العقاد تمظهرات العقدة بما سُمي بالتوثين

³د. ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 ، الجزائر، Bnassima2009@yahoo.fr
⁴د. ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 ، الجزائر، salem.aziza@gmail.com

الذاتي والاشتهاء الذاتي، في حين اتجه النويهي إلى عقدة أوديب واستدل عليها بقرائن نصية تحت مسمى: الاستبدال الجنسي للألم بالخمير والتسامي المُعبر عنه في الصنعة الشعرية . وهنا نلاحظ أنَّ النظرية النقدية العربية توقفت مع هذين العلمين، ولم توظف تطورات المنهج النفسي البنوي كما قدمه جاك لكان، حيث لم تترجم أعماله بعد إلى اللغة العربية. **الكلمات المفتاحية:** أبو نواس، العقاد، النويهي، المنهج النفسي، النظرية النقدية.

المقدمة:

في سياق تتبع تطور النظرية النقدية العربية الحديثة، نلمح توجُّهها إلى الاستعانة بالمناهج الغربية السياقية (الخارج نصية) في قراءة النصوص التراثية العربية، وهنا تبدأ بوادر الحداثة النقدية تتجلى، على غير مآلهة في الدراسات النقدية السابقة. لاسيما «ما قدمته مدرسة التحليل النفسي للأدب والفن من خدمات جليلة، وحققت للنقد مكسبا منهجيا جديدا، فتحت أمامه آفاقا واسعة في تعمق الصور الفنية، وزودته بمفاتيح سيكولوجية لتحليل شخصيات الأدباء والفنانين، ولها فضل كبير في إرساء قواعد نظرية النقد النفسي» (المختاري، 1998، صفحة 15). على رأس هذه المدارس النفسية يتربع عالم النفس النمساوي سيغموند فرويد (1856-1939)، الذي اكتشف العلاقة الوطيدة بين علم النفس والأدب، بل الإبداع الفني عامة الذي يحتضن النفس الإنسانية بحالاتها ومتناقضاتها، وعمل على استخلاص نظرية نفسية لها فرضياتها وما يبرهن عليها من واقع التجربة في بعض تخميناتها، حيث يقول: «إن الشعراء والروائيين هم أعز حلفائنا وينبغي أن نقدر شهادتهم أحسن تقدير، لأنهم يعرفون أشياء بين السماء والأرض لم يتمكن بعد حكمتنا المدرسية من الحلم بها، فهم في معرفة النفس شيوخنا، نحن الناس العاديين، لأنهم يرتبون من منابع لم يتمكن العلم بعد من بلوغها» (نويل، 1997، صفحة 7)، وقد تتلمذ على يده عدد من علماء النفس والطب النفسي وأضافوا إلى نظريته وطوروها، أمثال أدلر (1870-1937)، يونغ (1875-1961)، شارل بودوان، شارل مورون... وغيرهم، كما دعم النقاد في ثقافتنا متوصل إليه فرويد من استنتاجات من خلال التطبيق لطروحاته النظرية في دراسة النصوص الفنية. وتعتبر جماعة الديوان في العصر الحديث أولى من انكبَّ على دراسة شعراء متميزين تجلت في سلوكهم وفي شعرهم النزعة الفردية؛ والمقصود بها هنا اقتناع الناقد بضرورة تفرد الأديب بشخصيته، فعلى سبيل المثال يختلف الفنان عن الشخص المريض بالعُصاب، «يستطيع تخطي عتبة اللاشعور، والإفلات من رقابة الأنا الأعلى محققا رغباته ومكبواته بوسائله الفنية الخاصة وهو بعد ذلك، إنسان عاِدٍ سوي، وهذا ما لا يستطيعه الإنسان العُصابي غير الفنان» (المختاري، 1998، صفحة 11). ومن ثم ينفذ الدارسون إلى العمل الفني من خلال شخصية صاحبه، وهناك أعمال أخرى اهتمت بدراسة العمل الأدبي، وطائفة أخرى ركزت على عملية الإبداع. كل هذه العمليات تتم عن طريق اللغة/ بيت الوجود على حد قول أحد فلاسفة التأويل غادامار، والتي تستبطن كل عوالم الوجود ووقائعه؛ نفسية كانت، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو تاريخية، وتمتد لتتشظى على لا نهائية المعنى، عندما تجتمع على نحو معين «تكتسب سلطة الإيحاء باللامتوقع وبالمجهول، ومن ثَمَّ فإن الكتاب هم أناس عند الكتابة يتحدثون دون علمهم أشياء هم لا يعرفونها بدقة. إن القصيدة تعرف أكثر من الشاعر» (نويل، 1997، صفحة 9)، هذه هي اللغة الفنية التي ترتفع بمجازها عن الواقع المادي لتخلد وتعيش عبر كل الأزمنة، اللغة التي تحمل لا وعي صاحبها، فتكون مهمة النقد في كل الأزمنة هي الكشف عن نقصان الوعي فيها، ولهذه الغاية يُكتب النص الأدبي في كل قراءة واعية تتغيا مكنوناته لتكشف إمكاناته وطاقاته.

فاللاشعور كان المفتاح الذي وَلَج به النقاد الحداثيون إلى عالم النصوص الأدبية، وقد رأى معظمهم أن المنهج النفسي هو أنسب المناهج التي تصلح لدراسة المتون الفنية، لاسيما نص أبي نواس الشاعر العباسي (762م-145هـ، 198م-813م)؛ رمز الحداثة النصية عند العرب كما بينها أدونيس. ونحن سنقف في هذا البحث على القراءة التي تقدم بها كل من الناقلين المصريين لنص أبي نواس؛ عباس محمود العقاد (1889-1964) مؤلف العبقريات قَدَم: «أبو نواس الحسن بن هاني»، ومحمد النويهي (1917-1980) أول مطبق لعلوم النفس في النقد الأدبي، قَدَم: «نفسية أبي نواس»، مقارنين فيها بين قراءتين انطلقتا من منهج واحد وباليات مختلفة، ومدى تمثل كل منها للمنهج النفسي كما جاء في أرضه الأولى.

أولا: المقاربة النفسية عند العقاد

النقاد العرب والغربيون كلهم عيال على مائدة فرويد، فهو الذي اشتغل على الأعمال الفنية، وماهي إلا تحويل للهدف الغريزي الجنسي المنحط إلى عمل مُتسامٍ في عبر آلية التسامي/الإعلاء/التصعيد sublimation، حيث «افترض فرويد هذه العملية لتبيان النشاطات الإنسانية التي لا صلة ظاهرة لها مع الجنسية، ولكنها تستقي مددها من قوة

النزوة الجنسية، ولقد أطلق فرويد أساساً وصف التسامي على النشاط الفني والاستقصاء الذهني «(ج.ب.بونتاليس، 1997، صفحة 173، 174)، ولم تَحْتَفِ فقط المقاربات العربية بالشاعر الظاهرة أبي نواس، فقد شغل فنه عديد القراء الغرب والمترجمين؛ باللغة الإنجليزية والفرنسية نذكر منها:

كتاب «abu nawas in life end legend» بقلم ويليام هارولد انجرامز (1897-1973)، هو ضابط بريطاني، شغوف بالثقافات المختلفة، كتابه يُعد دراسة مثيرة لحياة الشاعر الحقيقية والزائفة والأسطورية، وباللغة الفرنسية دراسة جمال الدين بن شيخ كتب عن أبي نواس خمرياته: «jamel- Eddine Benchikh: poésies bachiques d'Abu Nuwas: thèmes et personnages». ينظر: (مسعد، 2003، صفحة 118، 135).

والعقاد الشخصية العبقريّة ألف عديد الأعمال، في السير الغيرية، وحاول فيها الكشف عن مفتاح الشخصية، حيث يعتبره الأداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها، وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها، (ولكل شخصية إنسانية مفتاح يسهل الوصول إليه أو يصعب على اختلاف الشخصيات)، ويعتبر العقاد أن مفتاح الشخصية العُمريّة هي طبيعة الجندي. ينظر: (العقاد، دت، الصفحات 57-58).

كما استند في تفسيره لئرجسية أبي نواس لسمة الوسامة، وهو مظهر طبيعي، فقد حباه الله بمسحة من الجمال، ونذكر كذلك خصلات شعره وضميرته، فالشعر الجميل من تمام الحسن، وهذه منة إلهية، ووصفه بـ «الإباحي المُتهتك» لأنه يقارن المنكرات والمحرمات ويُعلنها أمام الناس، والنواسي شخصية مشهورة عند العامة ناهيك عن الخاصة. «فالئرجسية التي نتبع أعراضها في الحسن بن هاني ليست حالة طبيعية تُلاحظ على أُناده وفي مثل عمره. ولكنها حالة منحرفة وُلد ببعض أعراضها وجاءت الأعراض الأخرى من البيت والمجتمع والعصر الذي نشأ فيه» (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، صفحة 75).

مصادر ئرجسية أبي نواس:

وعلاوة على العقدة الأساسية التي فسر على أساسها العقاد شعر أبي نواس يضيف مركب النقص قائلا: «ديوان الشاعر أصدق ترجمة لحياته الباطنية (...) وهو أصدق ما يكون على خمرياته التي تفيض بدلائل العقدة النفسية ومركب النقص الذي يساوره من انتسابه إلى كل من أبويه» (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، صفحة 119). يقول متعلقاً بالخمير:

أَلَا سَقَيْتِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِي سِرًّا إِذَا أَمَكَّنَ الْجَهْرُ

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 96)

فالأول اشتهاؤ ذاتي متعلق بالحالات الجسدية وهو نتيجة لاختلال وظائف جنسية لأن المُصاب يشتهي بدنه كأنه بدن شخص غريب، في حين التوثين الذاتي متعلق أكثر بالحالات العاطفية والفكرية، يتخذ المُصاب من نفسه وثناً ليعبده ويُدبّه، لا يخلو من اختلال وظائف الجسد لكنها ليست كقوة الحالة الأولى (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، صفحة 35، 36)، «وتلك هي الإباحية النرجسية التي تقتنن بتوثين النفس وتدلّيلها» (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، صفحة 48).

وقد اقترنت لغة العقاد في تحليله لدرجة أبي نواس بمجموعة من الاصطلاحات رآها لازمة تتكرر في شعر أبي نواس، وهي بمثابة الخيط الناظم لخطابه، يمكن إجمالها فيما يلي:

1- التلبس والتشخيص:

تغزل أبو نواس في غلام ألتغ، ألبس نفسه على هذا الغلام الذي كانت لثغته بالسين، غير أن أبا نواس لثغته بالراء يقول فيه:

وَأَبَايَ أَلْتُغْ لَأَجْجُثْهُ   فَقَالَ فِي غُنْجٍ وَإِخْنَاتٍ
لَمَّا رَأَى مِنِّي خِلَافِي لَهُ:   مَا لَقِيَ النَّاتُ مِنَ النَّاتِ
نَازَعَتْهُ صَهْبَاءُ كَرِخِيَّةً   قَدْ عَصِرَتْ مِنْ كَرَمِ حَرَاثٍ

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 77)

2- لازمة العرض:

ننتقل إلى لازمة العرض التي تشمل الإظهار بجميع درجاته، إذ ارتبطت بالأعضاء الجسدية والشواغل الحسية يصل فيها المصاب إلى كشف عورته، لكنها حالة تكاد تكون نادرة فهي تحدث في حالات الجنون، في حين الأكثر والأعم هي أن تتحول إلى إظهار ولفت النظر، يرى العقاد أن هذه اللازمة أكثر مطابقة على الحسن بن هاني لأن معظم شعره في الغزل والمجون يظهر فيه الجهر بالمحرمات. ينظر: (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، صفحة 37، 41). بمعنى أن النواس يستمتع بمقارفة المحرمات لكن تزداد هذه المتعة بمقدار المخالفة المعارضة.

وإن قالوا: حرام؟ قل: حرام! ولكن اللذأة في الحرام

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 693)

جهر باقتراف المحرمات، على العموم وهو بعيد تهمة الزندقة، «لا نكاد نجد اتهاماً لأبي نواس بالزندقة من جانب أمثال الجاحظ وابن قتيبة، لا ولا ابن المعتز أو الأصفهاني. وغاية ما نجده عند هؤلاء أنه كان شديد المجون مغرقاً فيه» (هدارة، 1963، صفحة 253). وفي مجونه هذا نراه يتحدث عن علاقة أخرى له فهو يقول:

ظَلْتُ إِلَى الصُّبْحِ وَإِبْلِيسَ لِي   فِي كُلِّ مَا يُؤْتَمَنِي خَصْمٌ
رَأَيْتُهُ فِي الْجَوْ مُسْتَعْلِيًّا   ثُمَّ هَوَى يَتْبَعُهُ نَجْمٌ
أَرَادَ لِلسَّمْعِ اسْتِرَاقًا فَمَا   عَتَمَ أَنْ أَهْبَطَهُ الرَّجْمُ
فَقَالَ لِي لَمَّا هَوَى مَرَحِبًا   بِتَائِبٍ تَوْبَتُهُ وَهُمْ

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 224)

«من منافع إبليس في مجون أبي نواس أن يكفل له وجاهة التمييز بالخمرة التي هو كفو لها دون عداله» (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، صفحة 45).

عاج الشقي على دار يسائلها   وعجت أسأل عن خسارة البلد
كم بين من يشتري خمرا يلد بها   وبين بك على نوي ومنتضد
لا يرقئ الله عيني من بكا حجراً   ولا شفا وجد من يصبو إلى وتد
ومن تميم، ومن قيس ولقهما   ليس الأعراب عند الله من أحد

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، الصفحات 92-93)

«وبيت القصيد من هذا الهوس بالنعي على الرسوم والطلول إنما هو الازدراء بأهلها وبعيشتهم وفخارهم الذي عز عليه أن يجاريهم فيه» (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، صفحة 120).

3- لازمة الارتداد:

ونقصد به خلع الشخصية على إنسان آخر، فتستعير الشخصية النرجسية الملامح المختلفة للآخر، وتلبس بها وتحسبها من صفاتها، وللاستشهاد عن هذه اللازمة استدلاله بصداقة أبو نواس مع الأمين ولي عهد أبيه هارون الرشيد (السيوطي، 2003، صفحة 236، 241)، كان من أحسن الشباب صورة، أبيض، طويلاً، جميلاً، ذا قوة مفرطة، وبطش وشجاعة معروفة، وقد قال إسحاق الموصلي: اجتمعت في الأمين خصائص لم تكن في غيره، كان أحسن الناس وجهاً وأسخاهم وأشرف الخلفاء أباً وأماً، حسن الأدب، عالماً بالشعر، لكن غلب عليه الهوى واللعب. ينظر: (العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، دت، الصفحات 49-50)، فلازمة الارتداد النرجسي موردها هو الخليفة لما يحمله من رفعة وجاه، فعلاقة الاثنين كانت علاقة عاشق ومعشوق، يظهر في قوله:

إني لصب، ولا أقول بمن   أخاف من لا يخاف من أحد
إذا تفكرت في هواي له   مسست رأسي هل طار عن جسدي

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 271)

ومن النقاد الذين شككوا في مقاربة العقاد، عميد الأدب العربي حين قال: «هو لم يمتحن غدد أبي نواس ولا سبيل له أن يمتحنها لأنها ذهبت فيما ذهب لها شخصه» (حسين، دت، صفحة 141). فالمنهج النفسي يرتبط بما طرحه التحليل النفسي من أدوات، ويحتاج إلى فحص عياني وإلى اختبارات موضوعية، حتى إذا تحققت كل الشروط في الحالة المعينة يكون التشخيص سليماً.

ثانياً: نفسية أبي نواس من منظور محمد النويهي

محمد النويهي هو الآخر ناقدٌ مُحدثٌ تفرّد في نظريته النقدية، وراح يُعرف الأدب على أنه «الثمرة العليا لتجارب الحياة الإنسانية» (النويهي، 1949، صفحة 399). وظّف علم النفس الحديث في فهم الشخصيات الأدبية، وفهم إنتاجها، فشخصية الشاعر أبي نواس-على حد قوله- لا يمكن أن تُفهم إلا بتحليلها على ضوء المنهج النفسي، ولا يمكن أن نتذوق شعره تذوقاً فنياً عميقاً إلا بإدراك الخصائص والمظاهر السلوكية كما تناولتها وفسرتها نظريات علم النفس الحديث.

المرجعية المعرفية في تحليل النويهي لنص أبي نواس:

استند النويهي على عقدة أوديب *Complexe d'oedipe* في التحليل والدراسة، وهي «الجملة المنظمة من رغبات الحب والعداء التي يشعر بها الطفل تجاه والديه، تظهر هذه العقدة في شكلها المسمى إيجابياً كما في قصة أوديب- الملك أي: رغبة في موت المنافس وهو الشخص من الجنس نفسه، أو رغبة جنسية في الشخص من الجنس المقابل، وفي شكلها السلبي تأخذ منحى مقلوباً أي: حب للوالد من الجنس نفسه وحقد حسود على الوالد من الجنس المقابل. تبلغ عقدة أوديب حسب فرويد العالم النفسي ذروتها في سن الثلاث وخمس سنوات خلال المرحلة القضيبية، ويسجل أفولها الدخول في مرحلة الكمون، وتتأجج من جديد أثناء البلوغ، وتمارس دوراً أساسياً في انبناء الشخصية وفي توجيه الرغبة البشرية» (ج.ب. بونتايس، 1997، صفحة 583، 584). وقد تطورت تحليلات عقدة أوديب على يد بعض علماء النفس المتأخرين، فهي تشير عند لاكان إلى تكوين اللاوعي كعالم مكبوت، وإمكانية وجود الذات المجندرة مؤسسة من خلال

الدخول إلى النظام الرمزي، وتشير عند كرسيتفا وكودوراو وكتاب آخرون إلى تكوين بعض الأساليب الخاصة من الذكورة والأنوثة. ينظر: (باركر، 2018، صفحة 255)

واستدل عليها بقرائن نصية تحت مفهوم الاستبدال الجنسي للأم بالخمرة، والتسامي المُعبر عنه في الصنعة الشعرية، وكذا مفهوم التمرکز القضيب. وهي مفاهيم تتدرج ضمن مفهوم أكبر هو الشذوذ الجنسي الذي تركز عليه عقدة أوديب التي طرحها فرويد في نظريته النفسية.

هذا إضافة إلى عامل آخر هو خرقه لقوانين المجتمع والتمرد عليه بجرأة، وإفساده للغلمان الذين كان يهيم بهم، وكان يجهر بالمحرمات والفاحشة كما يتضح في هذه الأبيات من قصيدة (لاح إشراق الصباح):

أطيب اللذات ما كان ت(جهاراً) (بافتضاح)

***

هذه الخمر(جهاراً) فاشربنها لا (سراراً)

فهذه الأبيات دالة على مكاشفته بالملذات بالسعي من أجل الظفر بها دون حياء ولا حشمة. وأحياناً يتنصّل من عالمه للولوج في عالم آخر ينزوي فيه بقناعة تامة وإقبال كبير وسعادة عظيمة لا تضاهيها سعادة أخرى.

1- دوافع تشكّل الشذوذ الجنسي عند أبي نواس:

يتمظهر الشذوذ الجنسي في مجموعة من السلوكيات غير طبيعية، نفصل فيها بعد التعرف على العوامل التي تسببت في اتجاهه هذا المنحى وساهمت في نشوئه في السلوك والكلام، وكما يوضحه المخطط الآتي:

كل هذه العوامل تسببت في نشوئه شخصاً شاذاً جنسياً، فابن نواس لم يَحْي حياة طبيعية، كان شاعراً مفرطاً في أحاسيسه وعلى الرغم من هذه الحالة المرضية، إلا أنه تمكن من توظيف قوّته كمعادل موضوعي ينقّس فيه عن كل رغباته وعواطفه وأفكاره، ووسيلة ينقل من خلالها تجربته للقارئ. وهذا ما أكدّه النويهي من خلال دراسته من أن ثمة صلة قوية بين حاسته الجنسية وحاسته الفنية (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 83).

2- المفاهيم المرافقة للشذوذ الجنسي:

هذه مفاهيم اصطلاح عليها علم التحليل النفسي ولها علاقة وثيقة برابطة الأم كما نجدها في منظومة علم النفس الفرويدية، فهي اصطلاحات تشرح العقد النفسية التي عانى منها أبو نواس في حياته، والتي تتمثل في:

1-2 مفهوم الاستبدال الجنسي Fétichisme Sexuel:

المقصود به اتخاذ بعض المنحرفين أشياء مادية يهيمون بها هيما جنسيا شديدا، وتثير فيهم شهوة المواقعة أو (اللقاء الجنسي)، يحققون هذه الشهوة بمجرد ضمها ولمسها وشمها، وفي قصائد أبي نواس يستبدل المرأة بالخمرة، نموذج عن الشذوذ الجنسي السلوكي الملاحظ في شخصيته، والذي تجلّى في شعره كما درسته النظرية النفسية. فقد «أحب الخمر حبا جما» (... حب تكوّن من عناصر شتى متضاربة متفاعلة، هي عناصر تولدت عن تكوينه النفسي الخاص، وانسجمت مع مقومات شخصيته المتميزة التي لم تشبها شخصية أخرى» (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 11)؛ فالملاحظ عليه اعتباره للخمرة شخصا عزيزا عليه، يمتلك وجدانه، بل يسيطر على عقله الباطن، فينظر إليه نظرة المحبوب والمعشوق الذي لا طاقة له على مقاومته، فالخمرة في كل شعره شخصية تربطها بكينونته وشيجة قوية، فلم تنبج مجرد شراب بل مخلوق يتصل بأعمق أسرار نفسيته اتصال التوأمين ببعضهما، يقول:

عاذلي في المدام غير نصيح   لا تلمني على شقيقة روعي
(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 82)

ويصف تعلقه بها وعطوف نفسه إليها عطوفا مقيما لا ينثني بقوله:

يجنح القلب إليها   في الهوى أي جنوح
عطفت نفسي عليها   بهوى غير نزوح
تلك-لا أعدمها الله-   أنسي عدل روعي
(فاغزر، 1988، صفحة 86)

ولا يطبق الحياة دونها، ولا يفهم لوجوده مغزى مستقلا عن وجودها كما يتجلّى فيما يلي:

ألا لا تلمني في الغفار جليسي   ولا تلحنني في شربها بغبوس
لقد بسط الرحمن مني مودة   إليها ومن قوم لديّ جلوس
تعشّقها قلبي فبعض عشقها   إليّ من الأموال كلّ نفيس
(فاغزر، 1988، صفحة 188)

ومنها قوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء   ودأوني بالتي كانت هي الداء

ويفسر النويهي هذا البيت بأنه وجدّ للخمرة جامح جارف، فهو لا يأبه بلوم الناس ولا يصده عن المحبوب من عيوب ونقائص.

هذا الحب الطاغى إن كان يحمل المحب على الأسى واللوعة حين يفكر في محبوبه، فهو يحمله على الغضب والتحدي حين يواجه العاذلين ويسمع منهم اللوم، فهو يقول:

لو كان لي سكن في الراح يسعدني   لما انتظرت بشرب الراح إفتارا
(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 108)
الراح شيء عجيب أنت شاربها   فاشرب! وإن حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على حمراء صافية   صر في الجنان ودعني أسكن النارا
(فاغزر، 1988، صفحة 155)

وفيما يفسر النويهي هذه الأبيات بقوله: وأنت تقرأ هذه الأبيات تفكر في تعلق الأم بولدها المذنب الذي يذمه الناس أو يطارده القانون، لكنها تتحداهم جميعا وتتحدى كل شيء، تتحدى سلطان الأب وسطوة القانون، وتتحدى قواعد المجتمع ومراسيم الأخلاق، وتتحدى أوامر الدين في بعض الأحيان (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 15). حب أبو نواس للخمرة حب إكبار وإجلال أيضا وحب تقديس، ينظر إليها كما لو كانت كائنا عظيما، يقول:

ووقّر الكأس عن سفيهٍ فإن آيينها الوقار

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 98)

كما يسميها بأسماء متعددة من مثل: الراح (للدلالة على الروح)، قهوة صهباء، المدام، شقيقة روعي، بكر، عذراء. وأحيانا يستبدل أبو نواس حبه للنساء بحبه للغلمان، فالمرأة تشغل في ذاكرته منطقة سوداء لا يجدر أن تخرج منها تحيط بها ذكريات قبيحة ومخزية، ولهذا لا يسقط على شخص المرأة أدنى مدح أو إعجاب ولا حتى امتنان، وفي سياق تغزله بالغلمان يقول:

شبيهه بالقضيب وبالكثيب	غريب الحسن في قد غريب
بعيد إن نظرت إليه يوما	رجعت وأنت ذو أجل قريب
ترى للصمت والحركات فيه	سهاما لا تزداد عن القلوب
ويمتحن القلوب بمقلتيه	فينكشف البرئ من المريب
فيا من صيغ من حسن وطيب	وجلّ عن المشاكل والضرب
أصبني منك يا أملي بذنب	تتيه على الذنوب به ذنوبي!

(نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، 2010، صفحة 487)

ورفض أبو نواس الزواج، كان يتلذذ بالغلمان أكثر من النساء حسب ابن منظور في أخباره.

2-2 مفهوم حقيقة التسامي Sublimation:

لا تتخذ فيها الرغبة الجنسية الوسائل المعروفة في الإرضاء، صحيحها وشاذها، بل تسلك مسالك أخرى من النشاط ما كنا نعلم أبدا أن نرى فيها تنفيسا عن الرغبة الجنسية مثل: الاشتغال بالفنون المختلفة، والانغماس في الخدمات الاجتماعية النافعة والجمعيات الخيرية، والتسابق في الخدمة الوطنية، الإصلاح الديني والحملة الأخلاقية لتطهير المجتمع من الآثام قد تكونان نابعتين عن طاقة جنسية زائدة تحقق نفسها في غير مجال الجنس (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 46). وفي هذا المقام يبدو أبو نواس شخصية منعزلة عن العامة في كثير من الأحيان، فهو ينكب على الكتابة ونظم الشعر أين يجد متعته ولذته، لكنها تتجسد على مستوى فن عال قلما نجد مثله في الكتابات الشعرية، فهو المشهور عبر العصور والأزمنة بـ(شاعر الخمرة)، وهو الذي تفوق على شعراء عصره ومن جاء بعده في غزله بالمذكر بشهادة النويهي قائلا: «يمتاز عليهم في هذا الباب من حيث الكم والكيف معاً، فليس كمثل شاعر أكثر من نظم المقطوعات في هذا الفن» (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 91). حيث يتخذ أبو نواس من شعره مجالا لإفراغ رغباته وعاطفته، وتمكن بذلك من إنتاج نص فني يطرح للقراءة والبحث في كل الأزمنة، نصا يتفقت على الإبداع والتصوير الفني، ويجمع في متونه عددا من الصور التخيلية البديعة، ولهذا نعتبر العصر العباسي من العصور الذهبية التي تفقت فيها المواهب وازدهرت الفنون والعلوم على الرغم مما لاحظناه من بعض علامات الانحلال والمجون. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتجسد ظاهرة التسامي في محاولة أبي نواس إصلاح نفسه والتوبة عما كان يجاهر به من محرمات وفسق، والتوجه إلى الزهد، وانقلب على نفسه يؤنبها يقول:

أنا اكتسبت لنفسي	هذا العناء المعنى
جريت في كل فن	من الهوى فكائي
مما فعلت بنفسي	علي كنت بضغن

3-2 مفهوم التمركز القضيب Phallo-centrisme :

هو اتخاذ رموز ترمز إلى الأعضاء الجنسية، فيكون عشقها أو عبادتها متنفسا لهذه العاطفة، وقد توسع تلاميذ فرويد في البحث عن استكشاف الرمز الجنسي في مختلف الأشياء (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 46)، وفي نص أبي نواس نجد الرموز الآتية على سبيل التمثيل لا الحصر:

حين يلامس فمه قدها فيرشف رحيقها بشوق، فهذا تقبيل شافه عنده، نفس اللذة التي يستشفها من تقبيل فم الأنثى أو خدها، يقول:

ترجل عن صدره الهوم إذا	قبل فوه بلذة فاها
(فاغنر، 1988، صفحة 24)	
فاذا ما المرء قبّلها	أسكرته لذة القبل
مامثل نعمها إذا اشتملت	إلا اشتمال فم على خد

تقبيل بلذة، وهو قبل كثيرة مسكرة، وليس مجرد تلامس بل هو (اشتغال) أي أن شفتيه تحتويانها بنهم وإطالة (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 49).

هكذا حلّل النويهي نفسية أبي نواس مُسقطاً بذلك المنهج النفسي على النص الأدبي الفني، معتبراً شخصية الشاعر حالة مرضية يجب أن تستعين بأدوات الطب النفسي للعلاج، وبحكم بعدها عن العصر الحديث انتهت إلى تضاعف مرضها ثم موتها.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث نحب أن نُنَوِّه بمجموعة من المآخذ رأيناها في عمل الناقلين، وفيما يلي يأتي التفصيل فيها:

- يبدو أن الدراسة النفسية عند كليهما توسّلت بالمنهج النفسي، غير أنها لم تكتف بالوقوف على السياق والظروف التاريخية التي عاشها الشاعر، إنما كانت مقارنة نصية، بدليل أن التحليل كان يقف على المدونة النصية التي حملت لهما كل الاختلاجات الباطنية التي تميزت بها شخصية أبي نواس، والمدونة تعتبر الأثر الوحيد الذي ينفذ منه الدارس المعاصر إلى الشخصية، وصحيح أنهما استعانا بالواقع المجتمعي والسياق التاريخي له، لكنها بدت في معظمها مقارنة نصية.

- توسّل الناقدان بآليات مختلفة لمقاربة نص أبي نواس، واتخذ كل منهما مصطلحاته الخاصة في تحليل نفسيته، وهذا ما يفسر تعدد الزوايا التي يُنظر منها إلى النص الأدبي، كما أن لغته الرمزية تنفتح على قراءات متعددة ومختلفة في الآن نفسه، كما يبدو أن المنهج النفسي سريع التطور، وكل الباحثين فيه يكتفونه بطريقة تستجيب لأفكارهم في قراءة النصوص الفنية، ويبرزون بها قناعاتهم، وأحياناً يكون ذلك بطريقة تعسفية، لأن الأفكار التي يطرحها علم النفس أحياناً تكون افتراضات لا ترقى إلى مستوى الحقيقة، بل تحتاج إلى تطبيقات سريرية، ومثلما يصلح أن يُطوَّع المنهج في قراءة النصوص الأدبية تبدو لغة النص الأدبي رمزية كما ذكرنا تنفتح على تعدد القراءة، ولا يكون المنهج النفسي هو بالضرورة الأنسب والأوحد في مقارنة النص الشعري القديم، فهذا حكم قيمي. بل القراءة الصحيحة هي التي تنطلق من النص حتى لا يحدث ما نسميه الإسقاط المنهجي، في غياب الوعي في تطبيقه. ومن ثمة يرى الناقد محمد مندور أن النص الأدبي لا يمكن تحليله إلا بعناصره الأدبية التي تعتمد على التدنق الجمالي (النويهي، نفسية أبي نواس، دت، صفحة 180).

- الشاعر أبو نواس من وجهة نظر العقاد من عباقرة الشعر القديم، شغفه وحبه الكبير للخمر كان مُلهماً له على إنتاجه نصاً فنياً جالياً بامتياز، ويُرجع مع النويهي إبداعه الشعري للغريزة الجنسية التي تمظهرت بشكل غير طبيعي على شخصه، ويبقى هذا ما يطرحه المنهج النفسي من تخمينات في دراسة الشخصيات، ولكن السؤال الذي يُطرح من زاوية أخرى هو: هل ينبثق الإبداع من الغريزة الجنسية فحسب؟ أليس هناك مصدر آخر لهذا الفن غير نفسه الباطنة؟ ألا يحظى العقل بنصيب ولو قليل في هذا الإنجاز؟ لاسيما ونحن نعرف أن العملية الإبداعية هذه لا بد أن تتفتق فيها العقول وتكون على قدر عال من اليقظة، بالمقارنة بما نعرفه من أن شارب الخمر المُسكر يكون غائب الوعي، بل يفتقد للكلام المفهوم، حتى إذا تمادى في شربها والتعلق بها يفقد ذاكرته ووعيه بالتدريج لأنها تؤثر على جهازه العصبي حسب الدراسات العلمية المتأخرة. ومن ثمة يبقى النص النواصي مطروحاً لدراسات قد تكشف لنا عن جوانب أخرى أغفلها التحليل النفسي.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو نواس، تح بهجت عبد الغفور الحديثي. (2010). ديوان أبي نواس برواية الصولي. أبو ظبي: دار الكتب الوطنية.
- تح إيفالد فاغنر. (1988). ديوان أبو نواس الحسن بن هاني الحكمي ج3. بيروت: دار صادر.
- جان بيلمان نوبل. (1997). التحليل النفسي للأدب. (حسن المودن، المترجمون) القاهرة: مطابع الأهرام بكورنيش النيل.
- جان لابلان، ج.ب. بونتاليس. (1997). معجم مصطلحات التحليل النفسي (الإصدار ط3). (مصطفى حجازي، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي. (2003). تاريخ الخلفاء. بيروت: دار ابن حزم.
- جوزيف مسعد. (2003). اشتهااء العرب. (إيهاب عبد الحميد، المترجمون) عمان، الأردن: دار الشروق.
- زين الدين المختاري. (1998). المدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجاً. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- طه حسين. (دت). خصام ونقد. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- عباس محمود العقاد. (دت). أبو نواس الحسن بن هاني. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

عباس محمود العقاد. (دت). عبقريّة عمر. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
كريس باركر. (2018). معجم الدراسات الثقافية. (جمال بلقاسم، المترجمون) القاهرة: دار رؤية للنشر.
محمد النويهي. (1949). ثقافة الناقد الأدبي. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
محمد النويهي. (دت). نفسية أبي نواس (الإصدار ط2). مصر: مكتبة الخانجي.
مصطفى هدارة. (1963). اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجري. بيروت: دار المعارف.